رابطة اللغة والدين ذات دلالة بليغة في مستقبل اللغة العربية

بقلم الأستاذ علي عبد اللطيف الجسار

(الكويت)

ان هناك تلازما وارتباطا بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لقد كانت اللغة موجودة قبل الاسلام ولكنها محصورة فى بيئتها ومنابتها وهى بلا شك اللغة الحية الجديرة بانفاذ الدين الجديد الى اذهان الناس وعقولهم وليس ادل على ذلك من اختيار الله لها لتكون لغة دينه وشريعته واختياره لتبليغ رسالته الى الناس رجلا عربيا من بين قوم عرب اقحاح، ولما جاء الاسلام رفع من مكانتها حيث اوجب على الناس تعلمها ونشرها فى البلاد التى فتحها ، ولولا الاسلام لما انتشرت اللغة العربية فى معظم البلاد العربية اليوم ، ولولا القرآن وهو المنبع الاساسى للدين الاسلامى لتمكن الاتراك من تحويل العرب الى اتراك لانهم حكموا العرب قرونا عديدة ، ولقد كان للغة القرآن وهى اللغة العربية الفصحى اثر كبير فى نفوس العرب الذين تاثروا بسماع القرآن ودخلوا فى الاسلام ، فهم ادركوا بفطرتهم العربية أن القرآن كلام الله وليس بكلام مخلوق فدفعهم تأثرهم الى حمل الدعوة الاسلامية والمخاطرة من اجلها الى خارج حدود اراضيهم وديارهم، **فكان تأثرهم بالقرآن سببا من اسباب انتشار الاسلام** حيث جاهدوا فى سبيل الله رغبة فيما وعدهم به القرآن ، وقد قال المستشرق الالمانى «يوهان فوك» فى كتابه « ألعربية دراسات فى اللغة والاساليب » (لم يحدث حدث فى تاريخ العرب ابعد اثرا فى تقرير مصيرهم من ظهور الاسلام ففى ذلك العهد وقبل اكثر من الف وثلاثمائة عام ونزل محمد (ص) القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين فتأكدت **رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد وكانت ذات دلالة عظيمة النتائج فى مستقبل هذه اللغة**) انتهى قوله . وبانتشار الاسلام انتشرت اللغة العربية .

أن القرآن هو الذى رفع ذكر العرب ومجدهم وبه عرف العالم العرب وفضلهم وبسببه انتشرت لغتهم وخاصة فى البلاد التى فتحها العرب المسلمون وصدق الله حيث يقول (لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون) ويقول تعالى (فاستمسك بالذى اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقد تغلغلت ثقافة الاسلام فى احشاء الادب والفلسفة **وظل العالم المتمدن بعد الفتوحات الاسلامية يفكر بعقل الاسلام ويكتب بقلمه ويؤلف بلسان الاسلام ، فكان المؤلفون فى ايران وتركستان وافغانستان والهند لا يؤلفون كتابا له شان الا باللغة العربية .**

هذه نبذة يسيرة من بحر زاخر تدل على صلة الاسلام باللغة العربية وفضله عليها وارتباطه بها ، واما صلة اللغة العربية بالاسلام فهى صلة وثيقة قوية التلازم والترابط ، **وللغة اثر كبير فى نشر علوم الاسلام** ومحاسنه لان ما يكتب بها له اثر فى نفوس الناس اعمق مما يكتب بغيرها من اللغات الاخرى خصوصا فى المواعظ والنصائح .

اللغة العربية لغة مرنة ، لذلك فان العرب الذين واجهتهم بعض الاشياء مما اخرجتها الطبيعة فلم يكن لها اسم مألوف فى حياتهم كانوا يضعون لها اسماء تعرف بها كمستخرجات البحار وانواع النباتات والحيوانات التى تنتج فى غير اقليمهم مما يدل على مرونة اللغة العربية وسعتها لكل ما يطرأ فى الحياة من شيء يحتاج الى اسم يعرف به، ولعلم الله بسعة اللغة العربية ومرونتها جعلها الله لغة القرآن والحديث المصدرين الاساسيين للدين الاسلامى ، **واستطاعت اللغة لمرونتها وسعة افقها ان تكون اداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وفى العهد العباسى كانت خلاصة هذه الثقافات الاجنبية كلها مدونة باللغة العربية** ومما لا شك فيه ان العرب فى العصر العباسي واجهوا صعوبة شديدة فى نقل الذخيرة العلمية الاجنبية الى اللغة العربية ولكن اللغة العربية بخصوبتها وسعة مداركها خرجت من ذلك المأزق منتصرة ظافرة ولا غرابة فى ذلك فهي لغة الدين الذى اختاره الله خاتما لجميع الاديان السماوية وقال فى حقه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وهى لغة العلم والفلسفة والادب وقد اضمحلت بجانبها فى ذلك العصر كل لغات البلاد التى فتحها الاسلام ولكرامة اللغة العربية على الله فقد اوثق الصلة بينها وبين دينه حتى اصبح **من الدين التثقف بها** ، ولم يجز النبى (ص) قراءة الفاتحة فى الصلاة لمن يحسن العربية بغيرها ويكفيها فخرا واعتزازا انها لغة القرآن والحديث . وهى بلا شك اطول لغات الامم عمرا واغزرها خصوبة

وخلاصة هذه العجالة المقتضبة ان للاسلام فضلا كبيرا على اللغة العربية حيث نقلها من اقليمها الضيق الى محيط واسع ولما دخل اللحن فى اللغة العربية بسبب الفتوحات الاسلامية واختلاط العرب بغيرهم من ابناء البلاد المفتوحة اهتم العرب بالنحو وازدادت الحركة من اجل تدوينه فبذل مجهود كبير توج بكتاب (سيبويه) **وما كان يوجد كتاب سيبويه لولا القرآن** لان العرب خافوا ان يتسرب اللحن الى الآيات القرآنية .

وللغة العربية فضل على المسلمين حيث حفظت احكام دينهم وتراث آبائهم واجدادهم وفسرت كلام الله وكلام رسوله لهم وحفظت ادب الادباء وعلم العلماء وفقه الفقهاء .